مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول، ص355-379، يناير 2017
ISSN 2518-5810

دور التربية في تعزيز ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني من منظور إسلامي

د. نافذ سليمان الجعب*

الملخص

هدفت الدراسة التعرف على دور التربية في تعزيز ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني، حيث إن التربية هي ناقلة الثقافة، وهي التي تربي على المقاومة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في الوصول إلى هذه الرؤية من خلال الفكر التربوي الإسلامي، وانطلاقاً من واقع المقاومة الفلسطينية، وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج منها: أن مفهوم المقاومة مفهوم شامل لكل ميادين الحياة، لا يقتصر على المقاومة العسكرية أو الشعبية، وأن الإسلام دعوة شاملة لمقاومة الظلم والطغيان، وأوصى الباحث بضرورة تضمين المناهج الفلسطينية لثقافة المقاومة، وتضافر باقي المؤسسات التربوية الرسمية والأهلية لتحقيقها على أرض الواقع.

Abstract

The Role of Education in Promoting a Culture of Resistance in the Palestinian Society From an Islamic Perspective

This research aimed to access to an educational vision to promote the resistance culture, where that education is the culture tanker, which educates the resistance. The researcher used the descriptive analytical method to reach this vision through the Islamic educational thought, on the basis of the reality of the Palestinian resistance. The researcher reached some results including that: The concept of resistance is a comprehensive concept for all aspects of life, not only the military or popular resistance. And Islam is a comprehensive invitation to resist oppression and tyranny. The researcher recommended that Palestinian curriculum must include resistance culture, and the rest of the public and private educational institutions must combine to achieve it on reality.

* كلية التربية – جامعة الأقصى– غزة – فلسطين.

مقدمة:

إن من القيم الكبرى التي يحافظ عليها الإنسان الكريم قيمة الحرية، والتي تمثل غاية من الغايات التي تسعى الشعوب لتحقيقها، ومن أجلها تبذل الدماء وترخص الأرواح، ويضحي الإنسان بكل ما يملك، لكي يعيش سيد نفسه لا يستعبده أحد من البشر، ولتحقيق هذه القيمة جاءت الرسالات السماوية، وقامت الثورات والانتفاضات، واشتعلت الحروب والمواجهات.

وبالمقابل فإن من طبع النفوس المريضة أن تستحوذ على الآخرين وتستأثر بمقدراتهم وخيرات أرضهم، ومن هنا ينشأ الصراع بين قيم الحق والحرية من جهة وقيم الاستحواذ والهيمنة من جهة أخرى، ويتخذ هذا الصراع أشكالاً عديدة تبدأ بالكلمة وتتصاعد إلى الحرب، وغالباً ما يكون في هذا الصراع طرف ضعيف هو الذي يطلب الحرية، وطرف قوي هو الذي يسعى إلى استلاب حقوق الضعفاء.

ومن أمثلة هذا الصراع ما يحدث على أرض فلسطين، حيث المحتل الصهيوني الذي جاء من أشتات الدنيا ليستوطن في أرض عربية إسلامية، ويطرد أهلها منها، بل ويستبيح دمائهم وأرضهم، لأنه يمتلك القوة والتأييد الدولي الظالم، وينطلق هذا الصراع من منطلقات أيديولوجية قائمة على دعاوى دينية كاذبة يلتف حولها يهود العالم، أن فلسطين هي أرض الميعاد ومهد الأجداد.

إن الصراع بيننا وبين إسرائيل ليس صراعا عسكريا فقط، بين شعب تحت الاحتلال وشعب يمارس أبشع أنواع الاستعمار الاستيطاني بل هو صراع صور ذهنية، صورة في مقابل صورة، قيمة في مواجهة قيمة، حضارة في مقابل حضارة (حنفي، 2005 :48).

وأمام هذه الغطرسة الصهيونية المؤيدة بالقوى العالمية الكبرى، لا يملك الفلسطيني إلا أن يثبت على أرضه، ويقاوم بكل ما يملك ليصد هذه الهجمة الاستعمارية، وهذا ما قام به الشعب الفلسطيني من بدايات القرن العشرين بعد صدور وعد بلفور عام1917؛ مروراً بالانتداب الاستعماري البريطاني على فلسطين، ثم قيام دولة الاحتلال عام 1948 وإلى يومنا هذا، حيث تفنن في أساليب المقاومة السلمية والمسلحة بكل أشكالها ومراحلها.

ويأتي هذا البحث للمساهمة في ترسيخ وتعزيز ثقافة المقاومة، من خلال توظيف البعد التربوي في تحقيق ذلك عبر الأوساط التعليمية المختلفة بدءاً من رياض الأطفال وانتهاءً بالدراسات الجامعية العليا، غير متناس الدور الإسنادي العظيم الذي تقوم به الأسرة والمجتمع والإعلام والطبقة السياسية

في تيسير وتدعيم القيم والاتجاهات اللازمة لثقافة المقاومة، كي تصبح ثقافة الرضيع والطفل والشاب والشيخ الكبير، ثقافة الرجل والمرأة، والمثقف والعامي.

وعند الرجوع للدراسات السابقة؛ والتي تؤكد مشكلة الدراسة، وجد أنه يمكن تقسيمها إلى قسمين: الأول يتناول الإطار النظري لثقافة المقاومة، والقسم الثاني يتناول تحليل تجارب واقعية لثقافة المقاومة في مجالات مختلفة كالمجال العسكري والإعلامي والدعوي.

كان من دراسات القسم النظري دراسة (الجعب، 2009) التي تناولت المتطلبات التربوية لتعزيز ثقافة المقاومة واعتبر الباحث أن مفهوم المقاومة مفهوم شامل لكل ميادين الحياة، وقد توصل الباحث إلى مجموعة من المتطلبات أهمها: تعزيز روح المقاومة ورفض التطبيع، والتربية على وحدة الصف الفلسطيني وتحريم الاقتتال الداخلي، وأوصى الباحث بضرورة تضمين المناهج الفلسطينية لمثل هذه المتطلبات، وتضافر باقي المؤسسات التربوية الرسمية والأهلية لتحقيقها على أرض الواقع، أما دراسة (حنفي، 2005) حول ثقافة المقاومة، والتي أجاب فيها عن سؤالين رئيسيين هما: ما أسباب السكون العربي الحالي إزاء المقاومة الفلسطينية، والسؤال الثاني: هل لمفهوم المقاومة وجود في ثقافتنا الموروثة؟ وهل يمكن إعادة بناء الثقافة الوطنية لترتكز على المقاومة بدل الاستسلام، وتوصل الباحث في نهاية دراسته إلى أن هناك في الأمة مفكرون أحرار يؤسسون لثورة ثقافية تواكب المقاومة، وأن الصراع مع إسرائيل ليس صراعاً عسكرياً، بل هو صراع حضاري شامل.

وجاءت دراسة (قرني، 2005): لتتناول أصوليات المقاومة الشاملة وإطار بناء الحضارة الجديدة (أو: من يقاوم من؟ ولأجل ماذا؟ وعلى أية أسس؟)، من خلال تأصيل ظاهرة المقاومة، التي سماها ب "المقاومة الحضارية" أو "الثقافية" من ناحيتنا بإزاء عدوان الحضارة الغربية الدائم علينا، وتوصل الباحث إلى أن الذات المستقلة ذات الكرامة لا تقبل ما يفرض عليها من خارجها بغير قبولها واختيارها ومشيئتها، وهذا الرفض هو أساس المقاومة، وأن كل صور المقاومة العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية وغير ذلك إنما هي أوجه من مقاومة شاملة كبرى هي "المقاومة الحضارية" التي تقوم بها ثقافتنا وأمتنا في وجه العدوان الغربي المستمر، أما دراسة (جبريل، 2004)؛ فقد عالجت الدور التنموي لثقافة المقاومة من خلال الأنموذج الفلسطيني، أخذًا في الاعتبار أن هناك إشكاليات حقيقية تعيق عملية التنمية، ومن أهمها: الاحتلال الإسرائيلي، وصعوبة تجميع الموارد الفلسطينية وتعبئتها في غياب الأطر الجامعة كمنظمة التحرير الفلسطينية، وانكشاف السلطة

الفلسطينية واستشراء الفساد فيها، وخلصت الدراسة إلى أن انتفاضة 1987 قدَّمت تجربة متميزة على صعد الضبط المجتمعي، والتيسير الإداري، والاستقلال السياسي والاقتصادي النسبيين. أما انتفاضة الأقصى عام 2000 فلم تقدم نموذجًا مشابهًا؛ فارتكزت حركتها على الفعل العسكري دون إيلاء عناية كبيرة لأبعاد المقاومة الأخرى الخاصة بإعادة بناء المجتمع الفلسطيني وتأهيله للصمود الطويل. لذلك جاءت مساهمتها التنموية أضعف من انتفاضة 1987.

أما دراسات القسم التطبيقي فكانت دراسة (مصطفى، 2014) والتي ركزت فيها على دور الدعاة في تعزيز ثقافة الرباط والجهاد في سبيل الله لدى الشباب في محافظة غزة وسبل تطويره، وتوصلت إلى أن نسبة دور الدعاة وصلت إلى 80.86%، وأوصت الدراسة بتنمية مهارات الدعاة بثقافة الرباط والجهاد عبر دورات سنوية، ونشر هذه الثقافة بين أفراد الأمة، وتضمينها في المناهج الفلسطينية، أما دراسة (شقور، 2009)، فقد تناول فيها أثر حزب الله في تطوير فكر المقاومة وأساليبها في المنطقة العربية، ومفهوم المقاومة إسلاميا ونشأة حزب الله، علاوة على معالجته لعلاقة حزب الله بالقضية الفلسطينية، وعلاقته بإيران، ثم تناولت الأساليب التي يمارسها حزب الله في مواجهة الاحتلال، ثم أثر حزب الله على الجماهير العربية، وتوصلت الدراسة إلى أن حزب الله أحدث جملة من التحولات على مستوى فكر وأساليب المقاومة في المنطقة العربية، وعلى نظرة الجمهور العربي للمقاومة كخيار استراتيجي، وقامت دراسة (رزق، 2005): بتحليل ثقافة المقاومة في الإعلام اللبناني: من خلال مجموعة من برامج تلفزيون المنار، وتوصل الباحث إلى أن الثقافة الإسلامية والتعاليم القرآنية، كانت العامل الأساس والأقوى لدفع الجماهير للالتزام بقضاياهم والتضحية من أجلها، وأن الإعلام المقاوم أسهم في عملية رفع الروح المعنوية لدى المقاومين، وأضعف الروح المعنوية لدى عناصر العدو.

ومن خلال عرض الدراسات السابقة المرتبطة بالمجتمع الفلسطيني تبين أن ثقافة المقاومة لدى الشعب الفلسطيني تحتاج لمزيد من التعزيز من خلال المؤسسات المنوط بها أداء هذا الدور .

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

وعلى ضوء ما سبق تأتي هذه الدراسة محاولة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما دور التربية في تعزيز ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني من منظور إسلامي؟

وينبثق عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما مفهوم ثقافة المقاومة من منظور إسلامي؟
2.ما واقع ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني وما المؤامرات التي تهددها ؟
3.ما المتطلبات التربوية اللازمة لتعزيز ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني؟
4.ما الرؤية التربوية القادرة على تعزيز ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة التعرف على دور التربية في تعزيز ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني من منظور إسلامي، ولتحقيق هذا الهدف الرئيس يجب تحقيق الأهداف الفرعية التالية:

1. الوقوف على مفهوم ثقافة المقاومة من منظور إسلامي.
2. تشخيص واقع ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني، والمؤامرات التي تهددها.
3.اقتراح رؤية تربوية قادرة على تعزيز ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني.

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية هذه الدراسة للاعتبارات التالية:

1. من المأمول أن تؤكد الدراسة على ضرورة انطلاق المقاومة من الإسلام كعقيدة قادرة على الثبات والتضحية.
2. أهمية المقاومة في حياة الشعب الفلسطيني لتحقيق أهدافه في الحرية والاستقلال.
3. قد تنبه الدراسة واضعي السياسات ومتخذي القرارات التعليمية بالدور العظيم الذي تلعبه الثقافة في مقاومة الاحتلال الصهيوني.
4. قد تساعد الدراسة المهتمين بالعملية التعليمية بتفعيل دور التربية الأساس في ترسيخ قيم المقاومة في عقول الناشئة.
5. قلة الأبحاث التي تتناول ثقافة المقاومة من المنظور التربوي الإسلامي، ورغبة من الباحث في المساهمة بإثراء هذا الجانب إسنادا للمقاومة وتحرير فلسطين.
6. يمكن أن تفيد هذه الدراسة الباحثين في هذا المجال، والتنظيمات الفلسطينية المقاومة في عملها لتربية الشعب الفلسطيني المقاوم.

حدود الدراسة: تتحدد الدراسة بالحدود التالية:

1. الحدود الموضوعية: تغطي هذه الدراسة دور التربية في تعزيز ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني من منظور تربوي إسلامي.
2. الحدود المكانية: تتناول الدراسة ثقافة المقاومة في فلسطين عامة وفي قطاع غزة خاصة، حيث تنامت المقاومة في القطاع بشكل كبير سيما بعد الانتفاضة الثانية "انتفاضة الأقصى" عام 2000، وتطورت إمكاناتها العسكرية الإعلامية الاجتماعية.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في دراسته المنهج الوصفي والذي "يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما هي في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو تعبيراً كمياً، ومن ثم الوصول إلى استنتاجات تسهم في فهم الواقع وتطويره" (شحاتة والنجار، 2003: 301)، وقد استخدمه الباحث في التأصيل الشرعي لثقافة المقاومة، وتشخيص واقعها في المجتمع الفلسطيني، والمؤامرات التي تهددها، وكذلك تحديد المتطلبات التربوية اللازمة لتعزيز ثقافة المقاومة في فلسطين.

مصطلحات الدراسة: وتوضحها الدراسة على النحو التالي:

1. **المقاومة (Resistance):**

جملة ردود الفعل التي يمكن أن تكون تدابير إجرائية أو علاجية أو وقائية تتخذها جماعة أو نظام أو فرد في مواجهة التهديدات والأخطار والاعتداءات الخارجية أو الداخلية التي تتربص به أو تعترضه وتهدد كيانه بالإذابة أو الزوال، أو تعطل أعماله ومن شأنها أن تكبح تطلعاته وآماله (رفقة، 2009: 20-21).

وتعرف بأنها " رفض لمنبه من البيئة غير المقبول وغير المناسب، أو لتنظيم معين لموقف ما غير مقبول وغير مناسب لمصالح الذات المعينة، بحيث يتجه العضو الحيوي أو الذات إلى صد النشاط غير المقبول وغير المناسب هو ونتائجه وردهما إلى درجة القضاء أحيانا على ذلك النشاط ومصدره ونتائجه، بما في ذلك تأمين عدم تجدده في المستقبل، وكل هذا حماية لسلامة العضو الحيوي أو مصالح الفرد أو الجماعة، أي الذات الفردية أو الجمعية (قرني، 2005: 92-93).

2. **ثقافة المقاومة (Culture Resistance):**

هي "حالة وخبرة تحياها الأمم النبيلة الحية، التي تتصدى للبغي والعدوان، ولذلك فهي تنهض في

وجه التحديات عبر مختلف وسائل ومستويات المواجهة، من أبسط آليات وأدوات الكفاح، إلى التحليل الاستراتيجي الثاقب الذي يعطي كفاح الأمم مساراً ورؤية ومعنى، وبالتالي فان ثقافة المقاومة هي حالة استنهاض إنساني تتوجه ضد كل اعتداء على الإنسانية؛ ضد الاحتلال والاستيطان" (الأحوازي، موقع http://www.alahwaz.eu/ghara3a.htm) وهنا إشارة إلى أن ثقافة المقاومة هي ثقافة إنسانية تدفع صاحبها إلى حماية نفسه والآخرين من أي تغول عدواني عليها بكل الوسائل الممكنة.

ويعرفها الباحث بأنها "مجموع الخبرات المعرفية والوجدانية والمهارية المتراكمة التي تتوارثها الأجيال، للحفاظ على هويتها الوطنية من الاستلاب الاحتلالي، والتي تعمل على تحشيد الطاقات المجتمعية لمواجهة العدوان واسترداد الحقوق".

الإجابة عن السؤال الأول: ما مفهوم ثقافة المقاومة من منظور إسلامي ؟

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة؛ يجد كماً كبيراً من الشواهد والنصوص تحث على مقاومة الظلم بجميع أشكاله سواء كان هذا الظلم كلمة أو قوة غاشمة، وما بينهما من ألوان الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين، **ويمكن توضيح معالم ثقافة المقاومة في الكتاب والسنة من خلال ما يلي:**

1. **رفض العبودية لغير الله:** فرسالة الإسلام رسالة التوحيد، تقوم على أن الله وحده المستحق للعبادة والطاعة والخضوع، وأن الناس كلهم عبيد له، ولا يحق لأحد أن يستعبد أحداً، ومن الأدلة على ذلك: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آل عمران:٦٤)، ولذلك كان من مهام الرسول(صلى الله عليه وسلم) تحرير الناس من العبودية لغيرهم فقال تعالى:".. وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ.." (الأعراف:157).
2. **رفض الظلم والبغي:** لقوله تعالى: وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ(الشورى:٣٩) ويقول ابن كثير(ج7: 211) في تفسير هذه الآية:" أي : فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم، ليسوا بعاجزين ولا أذلة، بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا ".

3.**الإعلان عن وقوع الظلم وفضحه بين الناس:** لقوله تعالى: لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (النساء:١٤٨)، وأورد الطبري في تفسيره أقوالاً في معنى الآية منها: (1994، ج2: 594-595) "إلا من ظُلم فلا حرج عليه أن يخبر بما أسيء إليه،. .. وكذلك دعاؤه على من ناله بظلم: أن ينصره الله عليه، لأن في دعائه عليه إعلامًا منه لمن سمع دعاءه عليه بالسوء له ".

4. **الهجرة من بلاد الظلم:** فحين لا يستطيع المسلم رفع الظلم عن نفسه، ويخشى أن يفتن في دينه، فلا مناص له من الهجرة إلى أرض يقام فيها العدل، وتتاح فيها الحريات الدينية، على أن يعمل – وهو خارج وطنه– على تغيير الواقع السيئ في بلده ثم يرجع إليه، كما فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) حين هاجر هو وأصحابه من مكة، ثم رجعوا إليها فاتحين، وفي هذا المبدأ يقول الله عز وجل:" إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" (النساء:٩٧)، قال السعدي (2002: 196) في تفسير هذه الآية: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإن له متسعًا وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله،.. وفي الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من الكبائر، وهذا الأمر لا ينطبق على الحالة الفلسطينية، لأنها احتلت بيد عدو من الخارج ولا يزال المرء قادر على أن يقيم شعائر دينه ويقاوم عدوه، وإلا فالهجرة من فلسطين ستمكن لبقاء الاحتلال.

5.**البراءة من الظلم وأهله:** فالمسلم يوالي أهل العدل من المؤمنين ويعادي أهل الظلم، ويتبرأ منهم، ويعتبر ذلك جزءاً أصيلاً من عقيدته، وفي ذلك يقول الله عز وجل: " إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا.." (الأنفال: 72) وتبين سابقاً أن الهجرة من الظلم جزء من ثقافة المقاومة في الإسلام، فالمؤمن لا يعطي ولاءه إلا لمن يهجر الظلم ويقاومه، كما قال تعالى: "وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ" (الجاثية: ١٩). ويقول ابن عاشور(1984، ج25: 349) في تفسير هذه الآية:" أي إنهم ظالمون وأنت لست من الظالمين في شيء فلا يجوز أن تتبعهم في شيء وإنما يتبعهم من هم أولياؤهم".

6.**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** وهو صفة أساسية من صفات الخيرية لهذه الأمة، أنها تدعو إلى كل خير وتنهى عن كل شر، وتمثل هذه الصفة أداة الإصلاح الداخلي في المجتمع المسلم، للوقوف في وجه الشر والانحراف والظلم، سواء كان من الأفراد العاديين، أم من المسئولين والحكام وأولي الأمر، وفي هذا وردت آيات وأحاديث عديدة، منها قوله تعالى: وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (آل عمران: ١٠٤)، ونهى النبي(صلى الله عليه وسلم) المسلمين عن السكوت على المنكر والظلم، ولو صدر من الحاكم، واعتبر أن ذلك مقدمة لهلاك المجتمع وزواله، ففي (سنن الترمذي: 4/38) عن حذيفة بن اليمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم" حديث حسن. وعَنْ طَارِقِ بنِ شِهَابٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ» (مسند الإمام أحمد: 31/126)

7.**رد العدوان بالمثل:** شرع القتال في الإسلام كرد فعل لما يصدر عن غير المسلمين من ظلم واعتداء ضد المسلمين، وذكر القرآن صوراً عديدة لهذا الظلم، ومنها القتال: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" (البقرة: ١٩٠)، وصورة ثانية: الظلم: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ.." (الحج: 39-40)، وصورة ثالثة: نقض العهود: "أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "(التوبة: ١٣).

وبذلك ينتقل المسلم من دور المقاومة السلبية السلمية إلى المقاومة العملية، فإن كان العدوان كلاماً أو فعلاً فيه إيذاء جسدي، فمن حق المسلم الرد على ذلك بمثله دون زيادة أو اعتداء كما قال تعالى: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (الزخرف: ٤٠)، وقوله تعالى:" فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" (البقرة: ١٩٤).

ويعرف العدوان بأنه "حالة اعتداء مباشر، أو غير مباشر، على المسلمين، أو أموالهم، أو بلادهم، بحيث يؤثر في استقلالهم، أو اضطهادهم وفتنتهم عن دينهم، أو تهديد أمنهم وسلامتهم،

ومصادرة حرية دعوتهم، أو حدوث ما يدل على سوء نيتهم بالنسبة للمسلمين، بحيث يعتبرون خطراً محققاً، أو يتطلبون حذراً واحتياطاً"(هيكل، 1996 :609).

وهنا يُلاحظ تقاطع مفهوم المقاومة مع مفهومي الدفاع المشروع ورد العدوان، حيث يشتمل رد العدوان على الدفاع المشروع، بالإضافة إلى مقاومة العدوان الذي وقع ومقاومة العدوان القائم والمتوقع، وهذا التقاطع بين المفاهيم الثلاثة يأتي حسب القاسم المشترك الأكبر بين هذه المفاهيم وهو كونها رد فعل (شقور، 2009: 26).

8. **التربية على ثقافة المقاومة:** المتأمل لآيات الجهاد والقتال في القرآن والسنة النبوية، يلاحظ أن هناك تعبئة نفسية عالية للتحريض على المقاومة، واستثارة العواطف من أجل رد العدوان، والانتصار من الظالمين وإغاثة المستضعفين، حيث تضمنت الشواهد مبررات المقاومة مثل: الدفاع عن النفس، والأرض، والدين، ونصرة المستضعفين، وهذا ما يسميه المنوفي (2007: 375) بتربية المقاومة ويعرفها بأنها: "الجهود التربوية التي تجعل من ثقافة المقاومة، ركيزة لبناء الإنسان المقاوم، الواعي بتناقضات مجتمع القهر، وبقيمة الفعل الإنساني، وتكوين وتنمية إرادة التغيير، بحيث يصبح الإنسان قادراً على – وراغباً في خلخلة وهدم مجتمع القهر، والمشاركة في بناء مجتمع العدل والحرية والمساواة". ومن الآيات القرآنية الشاهدة على ذلك قوله تعالى: "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا" (النساء: ٧٥)

الإجابة عن السؤال الثاني: ما واقع ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني وما المؤامرات التي تهددها ؟

تتعرض ثقافة المقاومة لهجمة شرسة من أعداء المقاومة، الذين يمثلون الاستعمار الحديث سواء المباشر منه كإسرائيل، أو الاستعمار الاقتصادي والسياسي كأمريكا ودول أوربا، ويتفنن هؤلاء في استخدام أساليب متنوعة لإجهاض أي مقاومة لمشاريعهم التوسعية، سواء كانت المقاومة روحاً يسري في مناهج التعليم، أو دعوة في وسائل الإعلام، أو توجيهاً من المنابر الدينية والسياسية، أو مقاومة مسلحة منظمة.

ويعرض الباحث هنا واقع ثقافة المقاومة وصوراً للمؤامرات التي تهددها من خلال الجوانب التالية:

1. **تشويه صورة الإسلام المقاوم:** ارتفعت في السنوات الأخيرة أصوات ما سمي بالحرب على الإرهاب، ويقصد بذلك الحرب على الإسلام الرافض للهيمنة الغربية، والعولمة التي يراد لها السيطرة على العالم وتذويب ثقافاته في بوتقة الثقافة الغربية وخاصة الأمريكية، وتجلى ذلك واضحاً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991، حينها بدأ الغرب يبحث عن عدو جديد يشغِّل من خلال الحرب عليه ماكينته الصناعية، وآلته الحربية، فلم يجد إلا الإسلام مرشحاً لذلك، كما قال (David Ignatius) في جريدة واشنطن بوست (8 آذار/ مارس 1992م) " يبدو أن الإسلام مناسب لملء دور الشرير بعد زوال الحرب الباردة، فهو ضخم ومخيف وضد الغرب ، ويتغذى علي الفقر والسخط، كما أنه ينتشر في بقاع عديدة من العالم، لذلك يمكن إظهار خرائط العالم الإسلامي علي شاشة التلفزيون باللون الأخضر كما كان العالم الشيوعي يظهر باللون الأحمر " .
2. **عولمة التعليم والغزو الفكري للمناهج:** يمثل التعليم حصن الأمة، ووسيلتها في توريث الثقافة والحفاظ على الهوية الوطنية، ولذلك لا تسمح الدول الحرة بالتدخل الأجنبي في تقرير مناهجها، لأن التعليم يمثل قضية سيادية لأي دولة تحترم نفسها، وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر كثر الحديث أمريكياً عن ضرورة تغيير المناهج التعليمية في الوطن العربي، لتتمكن المؤسسات التربوية من تدعيم ثقافة السلام – كما تراها الولايات المتحدة– وتتمثل مفردات تلك الثقافة في "تجريم المقاومة، وإضفاء المشروعية على الاستعمار، واستحسان التبعية ..، وتصغير الذات الوطنية ..، وتخفيض التناقض مع الخارج وتصعيده مع الداخل، والانفتاح على العالم الخارجي.. واعتبار أساس الصراع العربي الإسرائيلي نفسياً وإنكار الأسباب الحقيقية لذلك، وهو احتلال الأرض بالقوة، وبذلك يتم تزييف الوعي (المنوفي، 2007: 369).

وتأكيداً لما سبق نجد دولة "الاحتلال الصهيوني" تعمل جاهدة منذ نشأتها على تزييف الوعي العربي عامة والفلسطيني خاصة، من خلال فرض مناهج تتساوق مع ادعاءاتها الباطلة بأحقيتها في أرض فلسطين، ويساندها في ذلك الغرب بكل ما أوتي من قوة لتدمير الهوية الثقافية الإسلامية العربية، وروح المقاومة، سواء عبر الفضائيات، أو الانترنت، أو المنح الدراسية، أو الكتب والمجلات وغيرها من وسائل المعرفة، ولقد حاولت إسرائيل غزو المناهج العربية من خلال فكرة اقترحها الرئيس الإسرائيلي "شيمون بيريز" على لقاء القمة الرباعي في طابا عام 1995 وتتضمن التوصل إلى عمل برنامج تعليم موحد للشرق الأوسط بالكامل بواسطة الكمبيوتر، وتحت إشراف

إسرائيل، وتساءل الدكتور "حامد عمار" في مقالته "إلا التعليم يا بيريز": هل قضية استخدام الكمبيوتر من خلال خطة موحدة للتعليم في الشرق الأوسط واحدة من الخدع التي تحاول بها إسرائيل أن تخترق نظام تعليمنا" (عمار، 2004: 89-94).

3. **التطبيع الشبابي مع اليهود:** تسعى الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا إلى دمج دولة الاحتلال الإسرائيلي ضمن المنطقة العربية، سواء على صعيد الدول من خلال اتفاقيات السلام، كما حدث مع مصر والأردن والسلطة الفلسطينية، أو على مستوى الشعوب من خلال التطبيع مع الشباب العربي في المخيمات والدورات والمباريات والمسابقات العالمية، وكذلك من خلال بعض المفكرين والإعلاميين الذين يروجون لهذا التطبيع، ويشجعون عليه، ومن أمثلة ذلك ما يقوم به مركز «بيريز للسلام» الإسرائيلي الذي ابتكر أسلوباً جديداً للتشجيع على التطبيع بين العرب والإسرائيليين، من خلال حركة شبابية باسم «يالا يا قادة الشباب»، تتبنى عقد لقاءات بين الشباب العربي والإسرائيلي، على خلفية مناسبات رياضية وترفيهية واجتماعية، وأطلق المركز صفحة على موقع «فيس بوك» باللغات الثلاث، العربية والإنجليزية والعبرية (الموقع الرسمي يلا ياقادة الشباب فيس بوك).

وتقوم منظمة (أيادي السلام) كل صيف بإحضار شباب من يهود إسرائيل، وشباب فلسطينيين من الضفة الغربية الى مدينة شيكاغو من أجل (تجربة تعايش سلمي) مبنى على (لغة الحوار) بينهم لمدة أسبوعين. ويقوم هذا البرنامج بتعليمهم مهارات(بناء الفريق والقيادة، ويمكِّنهم من التعرف على الديانات والثقافات الأخرى، ويوجههم الى التعرف على (ماهية النزاع من وجهات نظر متعددة)، ثم يشجعهم على اكتشاف(طرق للتعاون من اجل بناء السلام في مجتمعاتهم وحياتهم الخاصة)(الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل صفحة الكترونية (http://pacbi.org/atemplate.php?id) .

4. **الربط بين المقاومة والإرهاب:** لا يوجد تعريف موحد لمفهوم الإرهاب على المستوى العالمي، ويرجع ذلك في بعض جوانبه إلى النظرة الاستعمارية للدول الكبرى، وما ذلك إلا لحاجة في نفسها، يدركها كل من له أدنى دراية في أمور السياسة، ألا وهي أنها لا تريد أن تقيد نفسها بتعريف معين لكي تبقي هي التي توجه العالم نحو ما تريد من الأهداف لتحقيق مطامعها وسيطرتها كما هو واضح لكل ذي عين.

فالإرهابيون من وجهة النظر الأمريكية هم ببساطة شديدة كل الدول المستقلة وحركات التحرر الوطني التي ترفض الانصياع إلى السياسة الأمريكية. أما القوى المسلحة سواء نظامية أو مرتزقة أو إرهابية والتي تمتثل لدعم وولاء أمريكي فإنهم مناضلون في سبيل الحرية حسب العرف الأمريكي.(خنفر، 2005: 83)

ولذلك نجد أن الولايات المتحدة وأوربا تصنف حركات المقاومة الوطنية في قائمة المنظمات الإرهابية وتعمل على تجفيف المنابع المالية لها، رغم أن القانون الدولي يعطي الحق في مقاومة الاحتلال أياً كان وبجميع الوسائل المشروعة ومنها الكفاح المسلح، وعلى أرض الميدان تقوم ربيبتها "إسرائيل" بتصفية المقاومة عملياً، من خلال القتل والسجن، والإبعاد، وهدم البيوت، والاستيطان، وتعزيز الانقسام، وغيرها من الممارسات الصهيونية.

الإجابة عن السؤال الثالث: ما المتطلبات التربوية اللازمة لتعزيز ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني ؟

يقصد الباحث بالمتطلبات التربوية المبادئ والسياسات والمفاهيم التي تؤسس لثقافة المقاومة، ومن هذه المتطلبات ما يلي:

1. **الانطلاق من الإسلام كدعوة تحرر:** سبق الحديث عن ثقافة المقاومة في الإسلام، وأن هذا الدين ما جاء إلا ليحرر الإنسان من كل الطواغيت البشرية والمادية والنفسية، ليبقى عبداً لله وحده كما قال تعالى: " وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ" (الأعراف:157)، وتعرف الحرية بأنها "استقلال الإرادة.. وأن تعيش الأمة عيشة راضية تحت ظل ثابت من الأمن على قرار مكين من الاطمئنان" (حسين، د. ت:16).

وقد ثبت تاريخياً قدرة الإسلام على استنهاض همة الشعوب المسلمة في وجه المستعمرين كالصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي –المسلم الكردي– والتتار على يد المسلم المملوكي "سيف الدين قطز والظاهر بيبرس، والانجليز في العصر الحديث على يد الشيخ عز الدين القسام وجمال الدين الأفغاني، والإيطاليين في ليبيا على يد الشيخ المجاهد عمر المختار، والفرنسيين في المغرب العربي على يد عبد الرحمن الكواكبي، واليهود في فلسطين على يد الشيخ عز الدين القسام والشيخ أحمد ياسين، والشواهد على ذلك كثيرة، ومن هنا لابد من إبراز دور هذه الشخصيات في كتب التاريخ.

2.**التثقيف الوطني للجيل الفلسطيني:** لا يمكن للمقاومة الفلسطينية أن تشق طريقها نحو تحقيق أهدافها، إلا إذا كانت مقاومة مستبصرة واعية، تعرف ما تريد، وكيف تصل إلى ما تريد؟، وهذا يستلزم نشر الوعي بأهداف المقاومة واستراتيجياتها، ورؤيتها من الأحداث المتجددة، لتضمن اصطفاف الجمهور الفلسطيني وراءها، والتحامها بها ليشكلوا درع حماية ومورد إمداد دائم لا ينضب، وحتى لا يكون التأييد الجماهيري تأييداً عاطفياً تخبو جذوته كلما ضعفت المقاومة، أو أصابتها المحن وضاقت بها السبل، فلابد من التربية على ثقافة المقاومة، حتى تصبح قناعة ذاتية وانتماءً وجدانياً وسلوكاً ميدانياً في يوميات الحياة العادية ومنعطفاتها المصيرية. (الجعب، 2009: 9).

ومن المفاهيم المطلوبة في التثقيف الوطني للجيل الفلسطيني؛ العودة إلى التراث والثقافة الفلسطينية والتمسك بها، وتنقيتها من الثقافة السلبية، وذلك من أجل عدم الذوبان في الثقافة الغربية الإسرائيلية. والتراث الفلسطيني يشمل كل ما شيده الأجداد من عمائر ومساجد، والحرف اليدوية والصناعات التقليدية، والأزياء الشعبية كالثوب الفلسطيني، والفنون الشعبية الفلسطينية، وتنقية التراث الثقافي هو وظيفة أساسية من وظائف التربية.

إن التراث هو الهوية الثقافية للأمة، والتي من دونها تضمحل وتتفكك داخلياً، وقد تندمج ثقافياً في أحد التيارات الحضارية والثقافية العالمية القوية. وبالنسبة للمسلمين فإنهم يتعرضون لهذا التفكك ويندفعون بقوة مطردة نحو التيارات العالمية المتباينة(العمري: 1405هـ). كذلك لابد من تعميق الوعي بالثوابت الفلسطينية كتحرير الأرض، وعودة اللاجئين إلى أرضهم، ووحدة الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات، واعتبار القدس عاصمة للدولة الفلسطينية المستقلة، وحرية الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين والعرب الذين ضحوا من أجل القضية.

3. بناء منظومة تعليمية مقاومة: والتي تشمل المنهاج والمعلم والطالب والبيئة المدرسية والإدارات التعليمية المقاومة، "ولكي يكون المنهج الفلسطيني منهجاً مقاوماً، فلابد أن تعاد صياغته من جديد بإرادة فلسطينية متحررة من قيود أوسلو وضغوط البنك الدولي، بدءاً من الرؤية والرسالة والسياسات التعليمية والأهداف والوسائل إلى المقررات الدراسية والأنشطة المصاحبة، مروراً بإعادة هيكلة وزارة التعليم وقوانينه لتتوافق مع نهج المقاومة وظروفها المتغيرة" (الجعب، 2009: 17).

ومن أجل إعداد المعلم المقاوم فلا بد من ربط واقع تدريب المعلمين بالبيئة الفلسطينية من خلال طرح مواد تدريبية لموضوعات القضايا الحديثة المتعلقة بواقع المجتمع الفلسطيني وارتباطها بالعلوم التربوية مع تناول المشكلات البيئية في المجتمع الفلسطيني كمحاور للتدريب لتخدم بشكل وظيفي المناهج الفلسطينية الجديدة (العاجز والبنا، 2003: 245).

ولتوفير البيئة التعليمية المقاومة، فلابد من تزيين المدرسة بخارطة فلسطين، وصور التراث وعبارات المقاومة، والتذكير بحقنا في أرض الآباء والأجداد، وكذلك إحياء المناسبات التاريخية الفلسطينية، وإجراء المسابقات وإقامة المعارض التراثية، والتدريب على الجندية.

4.**التحصين الأمني والأخلاقي للمجتمع الفلسطيني:** فالمجتمع الفلسطيني مستهدف من قبل الاحتلال الإسرائيلي بكل شرائحه الاجتماعية، وفي كل جوانب حياته المختلفة، ولذلك لا بد من التربية الأمنية التي تعمل على " تعزيز الانتماء الوطني والهوية الوطنية والذاتية الثقافية العربية والإسلامية وترسيخ مبدأ المسؤولية المجتمعية والقدرة على الفحص والمقارنة بين الأفكار". (عبد الحميد: 2007).

ويرى(الجعب، 2009: 23) أن للتربية الأمنية صورتين: الصورة الأولى وهي الصورة النظرية من خلال معرفة مفاهيم الأمن ونظرياته، ومجالاته، وأساليبه، ووسائله التقليدية والتكنولوجية الحديثة، وأنواع الأمن داخلي وخارجي، وتصنيفاته (أمن عسكري، أمن اجتماعي، أمن سياسي، أمن اقتصادي، أمن فكري....)، ووسائل وأساليب العدو في إسقاط العملاء، إلى غير ذلك من الأطر النظرية التي تمثل علم الأمن بمفهومه الشامل.

أما الصورة الثانية: فهي التربية العملية والتطبيقية لمبادئ الأمنية النظرية، حيث تصمم مواقف عملية لتعويد المتربي على الأخلاقيات الأمنية مثل السرية، وجمع وحفظ المعلومات، والعمل في ظروف غير طبيعية صعبة، والقدرة على إدارة الأزمات، والتخلص من المواقف المحرجة..، إضافة إلى التدريب على استخدام التقنيات الحديثة في جمع وحفظ المعلومات، كالحاسوب والانترنت ووسائل الاتصال الحديثة.

وتساهم التربية الأمنية في تحصين الشباب من الوقوع في حمأة العمالة، عبر الوعي الفكري، ومحاربة وسائل الإسقاط كالمخدرات والجنس والانترنت وغيرها وبذلك فهي تمارس دور التحصين الأخلاقي للشباب الفلسطيني، حماية لطاقاته من أن تتبدد في طرق الهدم والضياع.

5.**التأهيل المجتمعي للسلوك الحياتي المقاوم:** تختلف طبيعة الحياة تحت الاحتلال عن الحياة الحرة من الاحتلال، ويظهر ذلك في كل مجالات السلوك الإنساني، فالخطاب العام تحت الاحتلال هو خطاب المقاومة، ولذلك لا بد أن تتكيف باقي مجالات الحياة مع هذا الخطاب، ولا تتناقض معه، ففي المجال الاقتصادي لابد من ترشيد الاستهلاك والابتعاد عن الكماليات، وتوجيه الإمكانات المادية لتعزيز وسائل المقاومة والصمود.

ويحتاج الاقتصاد الوطني المقاوم إلى فلسفة اقتصادية جديدة، تقوم على المشاريع الأهلية الصغيرة، التي تحقق هدفين: الأول: تشغيل أكبر عدد من الأيدي العاملة، والثاني: تفويت الفرصة على العدو في استهداف هذه المشاريع.

ويمثل الادخار قيمة إسلامية مقاومة، ففي الحديث الشريف: "رحم اللَّه امرءاً اكتسب طيباً، وأنفق قصداً، وقصد فضلاً ليوم فقره وحاجته" (أخرجه البخاري في الجامع الصغير عن عائشة رضي الله عنه)، وهكذا فإن الادخار يستهدف –ضمن ما يستهدف– الاحتياط للمستقبل، ومواجهة حالات العوز، وترك ثروة تستعين بها الأجيال القادمة في حياة أفضل خالية من العوز. أي أن المطلوب شرعاً هو أن يكون حجم الادخار المستهدف محققا للاستثمارات اللازمة لإشباع ما تقدم، فضلا عن بقية التزامات فروض العين وفروض الكفاية (الروبي، 2002: 11).

6.**تعزيز ثقافة الوحدة الوطنية وتقبل الآخر:** إن بقاء المحتل الصهيوني مرهون باستمرار الانقسام الفلسطيني، والاحتراب الداخلي بين أبناء الوطن الواحد، ومن هنا يجب ترسيخ روح الانتماء الوطني لدى الفلسطينيين فوق الانتماءات الحزبية والعشائرية، والانتماء هو "شعور الفرد بأنه جزء أساسي من جماعة مرتبط بها، متوحد معها، وشعوره بالمسؤولية تجاهها" (حماد، 2005: 631)، ولذلك وجب على التربويين وجميع المؤسسات الرسمية والمدنية أن تبذل جهوداً مضنية لإعادة اللحمة الداخلية لأبناء الشعب الفلسطيني، والتربية على أدب الاختلاف، وأن الحوار هو الأسلوب الوحيد لمعالجة هذه الاختلافات، وأن رفع السلاح على أبناء الوطن محرم وجريمة دينية ووطنية، وأن العدو الوحيد لنا هو الاحتلال الصهيوني، الذي يجب أن نتوحد جميعاً ضده، والذي يستفيد وحده من خلافاتنا واقتتالنا (الجعب، 2009: 26).

7.**بث روح الأمل والتفاؤل:** ليس هناك من خطر أشد على المجتمعات من الهزيمة النفسية لأبنائها، ذلك أن الانهيار النفسي مقدمة للانهيار العسكري واحتلال الديار، ويسعى الأعداء دوماً إلى

استباق الحروب العسكرية بحرب نفسية، من خلال نشر الإشاعات التي تهول من قوته، وتهون من قوة خصمه، وهذا ما فعله اليهود لاحتلال فلسطين، فنشروا بين دول العالم أن "فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، وأن "الجيش الإسرائيلي لا يقهر"، وأن "إسرائيل واحة الديمقراطية وسط الديكتاتوريات العربية" إلى غير ذلك من الإشاعات.

ونتيجة لهذه الحرب النفسية الصهيونية وجدنا الخوف العربي من أي مواجهة مع دولة الاحتلال، حتى جاءت المقاومة الفلسطينية واللبنانية لتغير هذه المعادلة، ولتبرهن على إمكانية هزيمة الجيش الإسرائيلي، بل وإلقاء الرعب في قلوب سكانه وجنوده، كما حدث في حروب كثيرة عام 2006 في جنوب لبنان، وعام 2008–2009، وعام 2012، وعام 2014 في قطاع غزة.

ولأهمية الأمل والتفاؤل وعدم اليأس والهوان، نجد أن القرآن الكريم شدد على ذلك في آيات عديدة مثل قوله تعالى:" وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ "(يوسف: ٨٧)، وقوله:" وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " (آل عمران: ١٣٩)، وفي السنة النبوية عن صهيب (رضي الله عنه)، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له " (رواه مسلم، ص1365).

الإجابة عن السؤال الرابع: ما الرؤية التربوية القادرة على تعزيز ثقافة المقاومة في المجتمع الفلسطيني؟

إن أي مقاومة للاحتلال تحتاج إلى مقومات نجاح تتمثل في الوعي وقوة الإرادة وبذل الجهد والصبر والأمل بالنصر، وعند تحليل هذه المقومات الخمسة للنصر نجد أن للتربية الدور الأكبر في تحقيقها، فالوعي يحتاج إلى علم ومعرفة بالعدو وإمكاناته من جهة ومعرفة بالذات الوطنية وإمكاناتها من جهة أخرى، وبالظروف الإقليمية والعالمية من جهة ثالثة، وهذا لا يتأتى إلا بالتربية والعلم، أما قوة الإرادة فلا تتحقق إلا بالصحة النفسية العالية التي لا تعرف الهزيمة وتحدد هدفها، وتنطلق نحوه دون تردد، ولا يتم ذلك لجاهل إنما تحققه التربية، أما بذل الجهد والصبر والأمل فهي ثمرات للوعي وقوة الإرادة.

وتتمثل الرؤية التربوية القادرة على تعزيز ثقافة المقاومة في جميع الجهود المبذولة من كل مؤسسات المجتمع الفلسطيني في هذا الميدان، ابتداءً من الأسرة فالمدرسة فالجامعة، مروراً

بالمؤسسات الحكومية، ووسائل الإعلام والمؤسسات الدينية، ثم مؤسسات المجتمع المدني، وسيعرض الباحث لأهم الأدوار المطلوبة من بعض هذه المؤسسات بشكل موجز، وقد بنيت هذه الرؤية على المتطلبات السابق ذكرها، ومقومات النجاح الخمسة للنصر.

أولاً: دور الأسرة المقاومة

تلعب الأسرة دوراً متقدماً في تعزيز ثقافة المقاومة، لأنها "مصنع الرجال ومستودع القوة الباقي للأمة، كما كانت في فترات الغزو والإغارة على الوطن الإسلامي هي المحضن الذي خرج الجنود والقادة الأبطال الذين جاهدوا وأحرزوا النصر على موجات الإغارة الصليبية والتترية، وموجات الاستعمار العسكري.. ولذا تنبه أعداء الإسلام إلى سر ثبات أمتنا وقوتها، وإلى مصنع الجنود والقادة (الأسرة) فبدأوا في توجيه الضربات لهذا المصنع لتدميره، وإفساد أقسامه وإنتاجه" (عبد القادر، 1986: 7).

ويتمثل دور الأسرة في تعزيز ثقافة المقاومة في النقاط التالية:

1. التأهيل الثقافي للزوجين حول القضية الفلسطينية (التاريخ- الجغرافيا- الاحتلال الصهيوني- التآمر الدولي- المفاوضات..)، والتربية على ثقافة المقاومة، ليتمكنا من نقلها لأولادهما، ففاقد الشيء لا يعطيه.
2. تعريف الأبناء ببلدتهم الأصلية التي هُجِّر أجدادهم منها، والبلدات الفلسطينية الأخرى، ويحبذ تعليق خارطة فلسطين وعليها مواقع هذه البلدات.
3. تسمية الأبناء بأسماء مرتبطة بفلسطين مثل (صلاح الدين- تحرير- حيفا- فلسطين-...) وتفهيمهم معاني أسمائهم وعلاقتها بالقضية الفلسطينية.
4. توفير قصص وكتب ومراجع عن فلسطين في مكتبة البيت، وتشجيع الأبناء على مطالعتها، وتحفيزهم على ذلك بالمسابقات والجوائز.
5. ضبط محطات الإذاعة والتلفزيون على القنوات التي تناصر القضية الفلسطينية، وحجب المعادية منها، والجلوس مع الأطفال للتعليق على البرامج المعروضة لترسيخ الانتماء إلى القضية.
6. عقد الجلسات العائلية الضيقة والموسعة للتوعية بالقضية الفلسطينية، وعمل مسابقات دورية بين أفرادها.

7.الخروج برحلات ميدانية للتعرف على معالم فلسطين، وبلداتها، ومساجدها، ومؤسساتها التعليمية وأماكنها الأثرية.

8.الاستفادة من وجود كبار السن ليحدثوا الأطفال عن حياتهم قبل الهجرة عام 1948 وبعدها، وما عاصروه من حروب وأحداث.

ثانياً: دور المؤسسات التعليمية المقاومة

والتي تبدأ من الحضانة فرياض الأطفال فمدارس التعليم الأساسي والثانوي فالمعاهد والجامعات، وتمثل جميعاً أطراً واسعة للتفاعل الاجتماعي بين أبناء الوطن الواحد، على اختلاف عائلاتهم، وهذا يوفر فرصة لتعزيز الوحدة الوطنية، والتي تمثل ضمانة مهمة لتحقيق أهداف المقاومة، كذلك توفر هذه المؤسسات التعليمية المرجعيات العلمية المتخصصة للتوعية بالقضية الفلسطينية، وفرص الأنشطة اللاصفية المدعمة لثقافة المقاومة كالإذاعة والمسابقات والرحلات والمعارض والاحتفالات وغيرها، ومن الأدوار الأخرى التي تقوم بها هذه المؤسسات لتعزيز ثقافة المقاومة:

1.تضمين المناهج الفلسطينية مواد متخصصة حول القضية وثقافة المقاومة، علاوة على ربط المواد الأخرى بالقضية، فمثلا في الرياضيات ضرب الأمثلة والأسئلة حول أعداد الفلسطينيين وقتلى اليهود ومساحة فلسطين، وفي اللغة العربية قطع نصية في حب الوطن، وفي التربية الإسلامية فريضة الجهاد، وفي العلوم إشارة إلى بعض علماء فلسطين، وفي التربية الفنية رسم مناظر فلسطينية وهكذا.

2.تسمية الفصول ولجان الطلبة وغيرها من الأنشطة بأسماء وطنية، تذكر الطلاب بالمدن والشخصيات والأماكن الفلسطينية.

3.العمل بنظام الفتوة الفلسطينية لتدريب الطلاب على المقاومة، وإعداد أجسامهم وعقولهم لتحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني.

4.عقد المؤتمرات الجامعية حول القضية الفلسطينية وسبل تحريرها، والمشكلات التي يعاني منها المجتمع الفلسطيني.

5.الاهتمام بنشيد الصباح الوطني في المدارس الفلسطينية وتحية العلم الفلسطيني.

6.عقد المسابقات الوطنية بين طلاب المدارس والجامعات، وأن تركز على المعلومات الوطنية.

7.تشجيع الموهوبين لاستثمار مواهبهم في تعزيز ثقافة المقاومة، كالشعر والمسرح والقصة والأنشودة والاختراعات التكنولوجية وإبداعات الحاسوب والانترنت وغيرها.

ثالثاً: دور الإعلام الفلسطيني المقاوم:

لاشك أن للإعلام دور كبير في عصر الفضائيات والأقمار الصناعية، ومن أهمية هذا الدور فقد أطلق عليها البعض السلطة الرابعة وصاحبة الجلالة، وتعاظم دور وسائل الإعلام بعد ظهور مواقع التواصل الاجتماعي على الانترنت، ومساهمته في ثورات الربيع العربي، ونشر ثقافة المقاومة على المستوى الشعبي والجماهيري، وما تلعبه الفضائيات الحرة اليوم من نشر الرأي والرأي الآخر، ورصد انتهاكات النظم الحاكمة لحقوق الإنسان، وما يتبعه من ردود فعل مقاومة تصل إلى حد الثورات والمظاهرات والمقاومة المسلحة، ويمكن بيان بعض الأدوار التي تلعبها وسائل الإعلام فيما يلي:

1.نشر ثقافة المقاومة بجميع الوسائل والأساليب الإعلامية، كالأخبار والأناشيد والمسلسلات والحوارات، على أن تتناسب مع جميع المستويات العقلية للجمهور كالأطفال والشباب وكبار السن، والمثقفين وعوام الناس.

2.الالتزام بالانتماء الوطني في ممارسة العمل الإعلامي مع الالتزام بالمصداقية والموضوعية والشفافية، وعدم الحيادية، لأن الإعلام الوطني يجب أن ينحاز لقضايا وطنه يدافع عنها، ويفضح ممارسات الأعداء.

3.تعزيز الوحدة الوطنية والعمل المشترك بين أبناء الشعب الفلسطيني بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية.

4.إتاحة الفرصة للموهوبين والمتميزين لعرض انجازاتهم، من خلال لقاءات حوارية معهم.

5.المساهمة في توثيق العلاقة بين المسئولين والجمهور الفلسطيني من خلال لقاءات مفتوحة بين صناع القرار والجمهور، لحل المشكلات المجتمعية، والإجابة على استفسارات الناس.

6.تعزيز ثقافة الحوار الإيجابي واحترام الرأي الآخر، والتنوع الفكري والسياسي بين أبناء الوطن الواحد.

7.كشف ممارسات الاحتلال العنصرية والإجرامية بلغات العالم المختلفة، وعبر الوسائل الإعلامية المتنوعة، بل ومخاطبة المجتمع الصهيوني بلغته لفضح ممارسات جنوده ضد الشعب الفلسطيني.

رابعاً: دور المسجد في تعزيز ثقافة المقاومة:

يمثل المسجد المحضن التربوي الرباني للإنسان المسلم، فمن خلاله تتوثق علاقة المسلم بربه، فتزكو النفوس، وتتسامى الأخلاق، وتزداد الروابط الاجتماعية بين الناس، ويتعلمون أمور دينهم، ويتعاونون على حل مشكلاتهم، إلى غير ذلك من الأدوار التي يقوم بها المسجد، وعلى هذه الصورة كان المسجد في عصور الإسلام الأولى.

ومن المسجد انطلق الرجال الأوائل الذين حملوا اللواء ولبوا النداء إلى المجد. فلا بد للداعية أن يعتبر المسجد نقطة الانطلاق لتوعية الشباب وتعزيز ثقافة الأمة الإسلامية لديهم. وخاصة ثقافة الرباط والجهاد لأنهم عدة الأمة لنصرة الحق والدين(مصطفى، 2014: 50-51)

لقد مثلت المساجد على مدار التاريخ مراكز لانطلاق المقاومة ضد المحتل الأجنبي أو ظلم الحكام المستبدين، فكان العلماء رأس الحربة في استنهاض همم الناس، ونشر الوعي بينهم ليقاوموا الظالمين، ويتمثل دور المسجد في تعزيز ثقافة المقاومة في الأدوار التالية:

1. تعزيز الروح المعنوية والجهادية للمقاومين والجماهير المؤيدة لهم، وذلك من خلال الخطب والدروس التي تحث على الجهاد والمقاومة.
2. تنوير عقول الناس بمؤامرات الأعداء وأساليبهم في تدمير البلاد والعباد، مما يحصن المجتمع من الإشاعات والإسقاط الأمني والأخلاقي.
3. تمتين روابط الوحدة بين أبناء الوطن، حيث يلتقون يومياً خمس مرات جنباً إلى جنب في الصلاة، فتأتلف قلوبهم، ويتعارفون بينهم، ويتعاونون على حل مشكلاتهم ومساعدة بعضهم البعض.
4. انتقاء العناصر الصالحة من الشباب المؤمن لإلحاقهم بصفوف المجاهدين، وتربيتهم تربية جهادية خاصة، وتدريبهم على أساليب المقاومة ليشاركوا في حماية وطنهم.
5. محاربة أعداء الأمة الداخليين من المتعاونين مع الاحتلال، عبر التوعية بالثقافة الأمنية، وفتح باب التوبة للعملاء، ومحاربة أساليب الإسقاط الأخلاقي والفكري.
6. غرس حب الوطن في النفوس، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وبذل الجهد لخدمته وتحريره.

النتائج:

توصلت الدراسة الحالية إلى النتائج التالية:

1. مفهوم المقاومة مفهوم شامل لكل مكونات المجتمع المقاوم، وليس محصوراً في المقاومة العسكرية، فهناك المقاومة الفكرية والسياسية والاقتصادية والشعبية والسلمية والمسلحة.
2. يعتبر الإسلام دعوة شاملة لمقاومة الظلم والطغيان سواء كان من الحاكم الداخلي أو المحتل الخارجي.
3. تقوم التربية بدور رئيس في إعداد الجيل المقاوم، فكراً واتجاهات ومهارات، وذلك في حال أن يكون للدولة فلسفة مقاومة تتصبغ بها مناهج التعليم ومؤسساته.
4. تضافر جميع مؤسسات المجتمع في تعزيز ثقافة المقاومة ابتداءً من الأسرة وانتهاءً بالدولة.
5. تتعرض المقاومة لمؤامرات دولية كبرى، من خلال ربطها بالإرهاب، وعمليات التطبيع الشبابي مع الاحتلال الصهيوني.
6. لا بد من بناء ثقافة مقاومة يلتزم بها المجتمع الفلسطيني، تقوم على الإسلام والوحدة الوطنية والسلوك الحياتي المقاوم وبث روح الأمل والتفاؤل.

التوصيات والمقترحات الإجرائية:

بناء على ما سبق بأن الرؤية التربوية لتعزيز ثقافة المقاومة تقوم على أساس مشاركة جميع مؤسسات المجتمع في هذا الدور، ولذا يوصي الباحث بما يلي:

1. ضرورة وجود فلسفة مقاومة للسلطة الوطنية الفلسطينية، يلتزم بها الجميع، ويصدرون عنها في بناء خططهم وبرامجهم.
2. العمل على بناء مناهج فلسطينية تؤصل لثقافة المقاومة، تتدرج مع الطالب من سنين دراسته الأولى إلى الجامعة، تتناول تاريخ فلسطين، والاحتلال الصهيوني، وتربية المقاومة، ومواقف من مقاومة الشعوب المختلفة، وفقه الجهاد.
3. تضافر كل وسائل المقاومة في تعزيز هذه الثقافة، مثل الإعلام والفكر والأدب والتعليم والمساجد والمؤسسات المدنية والرسمية.
4. إيجاد أطر شعبية جماهيرية لثقافة المقاومة مثل الأنشودة والمسرح واللجان الشعبية، والاحتفالات العامة في المناسبات الوطنية.

5. تنفيذ برامج تدريبية لحماية الشباب الفلسطيني من السقوط الأخلاقي والأمني في حمأة العمالة للاحتلال.
6. التأكيد على التربية المقاومة للسلوك الحياتي للجماهير بترشيد الاستهلاك، والبعد عن الكماليات، والادخار، ومقاطعة المنتجات الصهيونية، وإيجاد بدائل فلسطينية أو عربية لها.
7. ضرورة الاهتمام بالتربية السياسية للمجتمع الفلسطيني وتعزيز الوحدة والحوار ونبذ الاقتتال والاحتراب الداخلي.

المراجع:

1. ابن عاشور، محمد الطاهر،1984: **تفسير التحرير والتنوير**، ج25، الدار التونسية للنشر، تونس.
2. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، 1999: **تفسير القرآن العظيم**، ط2، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.
3. الأحوازي، معمر: قراءة نقدية في ثقافة المقاومة وثقافة الاستسلام الأحوازية، الموقع الرسمي لـ الجبهة الديمقراطية الشعبية للشعب العربي الأحوازي، http://www.alahwaz.eu/ghara3a.htm بتاريخ 2015/7/7.
4. الترمذي، محمد بن عيسى، 1987: **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
5. جبريل، أمجد أحمد، 2004: ثقافة المقاومة ودورها التنموي: دراسة في حدود وإمكانيات التنمية في الفلسطينية، **مؤتمر الأمة وأزمة الثقافة والتنمية**، مركز الدراسات السياسية بجامعة القاهرة، القاهرة.
6. جدعان، رزان، 2005: ثقافة المقاومة وجدلية التضاد في التواصل بين الثقافات، **مؤتمر فيلادلفيا الدولي العاشر**: بعنوان ثقافة المقاومة في الآداب والفنون، عمان، الأردن.
7. الجعب، نافذ، 2009: المتطلبات التربوية لتعزيز ثقافة المقاومة، وزارة الثقافة الفلسطينية، **المؤتمر السنوي الأول للمؤسسات والمراكز الثقافية، "نحو تعزيز ثقافة المقاومة"**، 20-2009/7/21، غزة – فلسطين.

8. حنفي، حسن، 2005: ثقافة المقاومة، **مؤتمر فيلادلفيا الدولي العاشر**: بعنوان ثقافة المقاومة في الآداب والفنون، الأردن، عمان.
9. حسين، محمد الخضر، د. ت: **الحرية في الإسلام**، دار الاعتصام، القاهرة.
10. حماد، شريف علي، 2005: مستوى إدراك الشباب الجامعي الفلسطيني لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية الثقافية والانتماء، **مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر**، (16-17 ابريل 2005)، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
11. الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل، صفحة الكترونية http://pacbi.org/atemplate.php?id بتاريخ 2015/6/16.
12. خنفر، نهاد، 2005: التمييز بين الإرهاب والمقاومة وأثر ذلك على المقاومة الفلسطينية بين عامي 2001-2004، **رسالة ماجستير**، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
13. رزق، **علي، 2005**: ثقافة المقاومة في الإعلام اللبناني: نموذج تلفزيون المنار، **مؤتمر فيلادلفيا الدولي العاشر: بعنوان ثقافة المقاومة في الآداب والفنون**، عمان، الأردن.
14. الروبي، ربيع محمود، 2002: المنهج الإسلامي في الادخار والاستثمار، **ندوة التربية الاقتصادية والإنمائية في الإسلام**، 27-29/يوليو 2002، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، القاهرة.
15. السعدي، عبد الرحمن، 2002: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
16. شحاتة، حسن والنجار، زينب، 2003: **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.
17. شقور، رفقة ،2009: أثر حزب الله في تطوير فكر المقاومة وأساليبها فب المنطقة العربية، **رسالة ماجستير**، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
18. صفحة حركة "يلا ياقادة الشباب" على الفيس بوك. https://www.facebook.com/YaLaYL/ بتاريخ 2015/6/3.
19. الطبري، محمد بن جرير، 1994: **تفسير الطبري**، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق بشار معروف، وعصام الحرستاني، مؤسسة الرسالة، القاهرة.

20. العاجز، فؤد علي والبنا، محمد، 2003: تصور مقترح لبرنامج إعداد المعلم الفلسطيني وفق حاجاته الوظيفية في ضوء مفهوم الأداء، **مجلة الجامعة الإسلامية**، العدد الأول، المجلد 11، غزة، فلسطين، ص203– ص247.

21. عبد القادر، عبد القادر أحمد، 1986: **الغارة على الأسرة المسلمة**، المختار الإسلامي، القاهرة.

22. عبدالحميد، معتز، 2007: تصور مستقبلي للتوعية الأمنية في المناهج الدراسية، **www.alfayhaa.tv/main/showart.php** بتاريخ 2015/6/3.

23. عمار، حامد، 2004: **الحادي عشر من سبتمبر 2001 وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن العربي**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

24. العمري، أكرم ضياء، 1405هـ: التراث والمعاصرة، سلسلة كتب الأمة العدد 10، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، موقع **http://www.sheikhali-waqfia.org.qa/** بتاريخ 2015/7/6.

25. قرني، عزت، 2005: أصوليات المقاومة الشاملة وإطار بناء الحضارة الجديدة (أو: من يقاوم من؟ ولأجل ماذا؟ وعلى أية أسس؟)، **مؤتمر فيلادلفيا الدولي العاشر: بعنوان ثقافة المقاومة في الآداب والفنون**، الأردن، عمان.

26. مصطفى، تقوى محمد، 2014: دور الدعاة في تعزيز ثقافة الرباط والجهاد في سبيل الله لدى الشباب في محافظة غزة وسبل تطويره، **رسالة ماجستير**، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

27. المنوفي، محمد(2007): تربية المقاومة في خطاب "نزار قباني"، **مجلة مستقبل التربية**، العدد(47)،المجلد(13)، يوليو2007، ص ص369–458.

28. هيكل، محمد خير(1996): الجهاد والقتال في السياسة الدولية، **رسالة دكتوراه منشورة**، ط2، بيروت– لبنان.

29. David Ignatius (1992): ISLAM IN THE WEST'S SIGHTS: THE WRONG CRUSADE?, http://www.**washingtonpost**.com/pb/archive/opinions/1992/03/08